

وَأَسْتَخْرِجُ الْمَعَانِيَ عَلَى أَسَاسِ الْأَعْرَافِ لَا عَلَى أَسَاسِ الْإِفْهَامِ
الذَّهْنِيِّ ، قَالَ قَيْمًا جَاءَ بِشَأْنِ زَيْدٍ :

« أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ » بِالْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ أَجَلُ النِّعَمِ ،
وَبِتَوْفِيقِكَ لِعَتَقِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَاجْتِنَاصِهِ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بِمَا وَفَّقَكَ
إِلَّاهُ فِيهَا فِيهِ ، فَهُوَ مُتَقَلِّبٌ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ « أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ »
يَعْنِي زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْصَرَهَا بَعْدَ أَنْ كَخَهَا إِيَّاهُ فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ ،
فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَقْلَبُ الْقُلُوبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ نَفْسَهُ كَانَتْ تَجْفُو
عَنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ لَا تَرِيدُهَا ، وَلَوْ أَرَادَتْهَا لَأَخْتَطَبَهَا ، وَسَمِعَتْ
زَيْنَبَ الْقَسْبِيَّةَ ، فَذَكَرَتْهَا لَزَيْدٍ فَفُطِنَ ، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي نَفْسِهِ
كَرَاهَةً صَحْبَتِهَا وَالرَّغْبَةَ عَنْهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ زَيْدٌ لِرَسُولِ
اللَّهِ : أَنِي أُرِيدُ أَنْ أَفَارِقَ صَاحِبَتِي ، فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ أَرَأَيْتَ مِنْهَا
شَيْءٌ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْهَا إِلَّا خَيْرًا ، وَلَكِنَّهَا تَتَعَظَّمُ عَلَى
لُشْرِفِهَا وَتُؤْذِنُنِي ، فَقَالَ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ »
ثُمَّ طَلَقَهَا ، فَلَمَّا اعْتَدْتُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مَا أَجْدُ أَحَدًا أَوْثَقَ
فِي نَفْسِي مِنْكَ ، أَخْطَبَ عَلَى زَيْنَبَ ، قَالَ زَيْدٌ : فَأَنْطَلَقْتُ فَإِذَا
هِيَ تَخْمَرُ عَجِينَهَا ، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا حِينَ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرَهَا فَوَلِيَّتَهَا ظَهَرِي ،
وَقُلْتُ : يَا زَيْنَبُ إِنَّ أَبْشَرِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَخْطُبُكَ . . . ففَرِحَتْ